

ترجمة معاني القرآن: أي خطاب يتمثله المتلقي؟

Translation of the meanings of the Quran: Which discourse does the recipient represent?

د/ فاطمة الزهراء سعيداني*

¹ جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)

saidani.fatimazohra@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/10/27

تاريخ الارسال: 2025/02/01

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى الإجابة عن إشكالية تمثل المتلقي للخطاب القرآني المترجم، أو (الأثر المنتج) الذي يتناغم من خلاله فعل الترجمة مع عالميّة الخطاب القرآني. كما يستهدف الكشف عما يمكن أن تقدّمه التجربة الجماليّة للمترجم من فرص لتفعيل معنى الخطاب القرآني في نسخته المترجمة.

وتفترض المقاربة التي يطرحها هذا المقال أنّ الوعي بجماليّة الخطاب القرآني في حال ترجمته لن يتحقّق إلاّ إذا تمّت عمليّة الترجمة ضمن رؤية شموليّة، هدفها تشكيل وعي المترجم بالوشائج الدّاخلية للخطاب القرآني، تسمح له بتدبر جماليّته، وتتيح للمتلقّي العالَمي بعد ذلك فرصةً ثمينةً لاستنباط دلالات معانيه ومقاصدها وبلاغات رسالتها. وللتحقّق من مصداق هذا الافتراض، فقد تمّ تحليل بنية العلاقة بين عمليّة الترجمة وفعل التّلقي ونسق تشكّلها، ثمّ استدعاء هذا النّسق في مقارنة الرؤية المنشودة لعمليّة ترجمة معاني القرآن الكريم.

وخلص المقال إلى أنّ المقاربة المقترحة تنقل نسق ترجمة معاني القرآن الكريم من مستوى محايشة الجماليّة البنيويّة للنّصّ القرآني إلى مستوى تفعيل هذه الجماليّة، وترتقي بها إلى مستوى الممارسة الإبداعية. الكلمات المفتاحية: معاني القرآن الكريم؛ الترجمة؛ التّمثّل؛ المتلقّي؛ التجربة الجماليّة.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This article attempts to answer the problem of the recipient's representation of the translated Quranic discourse, or the (productive effect) through which the act of translation harmonizes with the universality of the Quranic discourse. It also aims to reveal what the translator's aesthetic experience can offer in terms of opportunities to activate the meaning of the original Quranic discourse in its translated version, as the translated meaning is ultimately the result of the interaction between the structure of the original discourse and the act of understanding.

So, the approach proposed by this article assumes that awareness of the aesthetics of the Quranic discourse will not be achieved unless the translation process is carried out within a comprehensive vision, the aim of which is to form the translator's awareness of the internal connections of the original Quranic discourse, allowing him to contemplate its aesthetics, and providing the recipient of the translated discourse with a valuable opportunity to deduce its connotations, purposes, and the rhetoric of its message.

Keywords: Meanings of Qu'ran; Translation; Representation; Recipient; Aesthetic experience.

1. مقدمة:

إنَّ ما يميّز الخطاب الإلهي في القرآن الكريم عنايته بالمتلقّي، من حيث هو المستهدفُ بالخطاب، وثمرته متحقّقة فيه. وتستجيب منظومة هذا الخطاب البنائية لهذه العناية من خلال مداراتٍ معرفيّة، تتمحور حولها أساليب الإقناع والتأثير، ممّا يجعل مضمونه يتجاوب مع المتلقّي، ورسالته تنفذ إلى عمق كينونته، لتمنحه القدرة على التّحرّر الفكريّ، وتنقله إلى مستوى أكثر نضجا من حيث استيعاب القضايا التي يطرحها هذا الخطاب. وفي الوقت ذاته تُبرز هذه المدارات القيمة الجماليّة لبنية الخطاب الإلهي ومنظومة تلقّيه.

وتمتدّ هذه المدارات لتشمل المضامين المعرفيّة في كتاب الله المجيد، بحيث تشكّل في جملتها التّصوّر القرآني للحياة، وتؤسّس نظرة متميّزة للحقيقة، من غير تشبّثٍ للفكر أو تمزيقٍ للكينونة الإنسانيّة. وعلى الرّغم من هذا التّنوع في المدارات المعرفيّة، فإنّ الخطاب القرآنيّ باعتباره خطابا إلهيّا معجزا، يتّسم بكونه نسقا معرفيّا متميّزا، وهذا بالنّظر إلى منهج هذا الخطاب الذي يستند إلى الإمكان المعرفيّ للوحي المسطور، وبالنّظر إلى الطّبيعة المعرفيّة المتفرّدة لسياقاته، والتي تستوعب التّجربة الإنسانيّة على امتدادها التاريخيّ.

وفي الوقت ذاته فإنّ هذا الخطاب الإلهي يتّسم أيضاً بكونه كتلة بنيويّة واحدة متماسكة الأجزاء، تتشابه مع وعي المتلقين لهيئتهم لفهم مضمونه وبلاغات رسالته. وإزاء هذا التميّز المعرفي والتّماسك البنيوي، فإنّ استيعاب جماليّة هذا الخطاب لن يتأتّى إلّا إذا تمّ ضمن رؤية شموليّة، هدفها إيجاد وشائج داخلية ضمن الخطاب نفسه، ممّا يتيح فرصة ثمينة لاستنباط دلالاته ومقاصده وبلاغات رسالته، لتشكل بالتالي صورةً حضوريةً فاعلةً ومهيمنةً في وعي المتلقي.

وفي ظلّ هذه الصّورة الحضورية الفاعلة والمهيمنة للخطاب القرآني، فإنّه من الصّعوبة بمكان من النّاحية المنهجية:

- نقل عناصر البنية الكليّة لهذا الخطاب إلى المتلقي العالمي بلغة الهدف، دون مراعاة النّسق الأصلي الذي شكّلت ضمن إطاره هذه البنية.
- الوفاء لترجمة معاني القرآن الكريم، دون فهم شبكة الأنساق المكوّنة لبنية الخطاب القرآني ومداراتها ومكمن تميّز كلّ عنصرٍ فيها، ومدى تدخّله في تشكيل جانبٍ ما من جوانب هذه البنية.

ولا شكّ أنّ استيعاب هاتين الصّعوبتين يمثّل مرحلة مهمّة في تشكيل الوعي بطبيعة عملية الترجمة، وبدونهما ستأخذ هذه الأخيرة شكلاً من أشكال الاعتداء على النّصّ القرآني من جهة، لأنّها ستسلخه عن سياقه، وستتسبّب في تضییع حقائقه وتشتيت بنيته، ومن جهة أخرى ستأخذ شكلاً من أشكال تشويه السّياق الجديد الذي يتمّ نقل معاني القرآن الكريم إليه.

وعليه ففي ظلّ التّميّز المعرفي لخطاب الله تعالى، وكذا الصّعوبات التي تمّت الإحالة إليها آنفاً فالإشكال الذي يطرح هو:

ما طبيعة الرؤية التّرجميّة التي يمكن للمترجم توظيفها بغية إرشاد المتلقي العالمي إلى تمثّل معاني الخطاب القرآني؟

وعلى اعتبار أنّ المعنى المترجم في النّهاية هو حصيلة للتّفاعل بين بنية الخطاب الأصلي وفعل الفهم، فإنّ هذا المقال سيسعى للإجابة عن الإشكال السّابق في ضوء مقارنة تفترض أنّ الوعي بجماليّة الخطاب القرآني في حال ترجمته لن يتحقّق إلّا إذا تمّت عملية التّرجمة ضمن رؤية شموليّة، هدفها تشكيل وعي المترجم بشبكة الأنساق الدّاخلية لبنية النّصّ القرآني، تسمح له بتدبر جماليّته، وتتيح للمتلقّي العالمي بعد ذلك فرصةً ثمينةً لتبيّن مقاصده وتمثّل دلالاته في ضوء المعاني المترجمة.

وللتحقّق من مصداق هذا الافتراض، فقد تمّ تحليل بنية العلاقة بين عمليّة الترجمة وفعل التلقّي ونسق تشكّلها، ثمّ استدعاء هذا النسق في مقارنة الرؤية المنشودة لعمليّة ترجمة معاني القرآن الكريم، ومن ثمّ اختبار كفاءتها في مقارنة جماليّة الخطاب القرآنيّ في نسخته المترجمة، في ظلّ الناظم الشّموليّ لهذا الخطاب.

والمقصود بالناظم الشّموليّ ههنا النسق المتكامل لمنهج تدبّر الخطاب الإلهيّ على مستوى بنيته النصّيّة والخطابيّة وكذا اللّغويّة التركيبيّة، ثمّ الوقوف على دور هذه البنى مجتمعةً في تشكيل مدارات الاستجابة السلوكيّة لدى المخاطب، أي دورها في التأثير الوجدانيّ على المخاطب، وكذا الأثر الذي تحدثه في نفسيّته وسلوكه، وهو مصداق تحقّق تلقّي بلاغات الخطاب القرآنيّ.

2. التّرجمة والمُتلقيّ: أيّة علاقة؟⁽¹⁾:

وضعت نظريّة التلقّي تصوّرًا جديدًا لعمليّة النّقد، بما هي فعلٌ يرتبط أساسًا بالتّقييم الجماليّ للأعمال الأدبيّة، يرتبط بتلقّي هذه الأعمال من طرف جمهور القراء وتأثيرها عليهم. وهذا التّصوّر من شأنه إحياء المسافة التاريخيّة بين العمل الأدبيّ والمؤرّخ أو النّاقّد لهذا العمل، فتتقلّص إذ ذاك الفجوة بين المقاربة التاريخيّة والمقاربة النّقديّة في تحليل الأعمال الأدبيّة⁽²⁾.

وبموجب هذا التّصوّر الجديد فإنّ المتلقّي للعمل الأدبيّ سينتقل من كونه قارئًا مقيّدًا بالمسافة التاريخيّة لهذا العمل، إلى راصدٍ إيجابيٍّ منفتحٍ على جانب التأثير الذي يخلفه هذا العمل، أي وقعُهُ وثمرَةُ تلقّيه. وهذا التّحوّل في فعل التلقّي يفتح المجال واسعًا أمام تجربة جماليّة فريدة، لا ترتبط فقط بتاريخيّة العمل، وإنّما بتأثيره على القراء كذلك.

وعلى هذا فجوهر تحليل التّجربة الجماليّة يكمن في الكشف عن العلاقة الديناميّة بين العمل الأدبيّ والقارئ، بدلالة فعل التلقّي، تنتقل على إثرها عمليّة النّقد من القراءة المحايدة إلى فهم سيرورة تأثير العمل الأدبيّ على قارئه، ومن رصد الجماليّة التّصويريّة للعمل الأدبيّ إلى رصد جماليّة التلقّي والأثر الذي ينتجه هذا العمل.

¹ شكّلت التجربة الإيمانيّة للبروفيسور جفري لانغ مصدر إلهام متجدّد للباحثة حول إشكاليّة تلقّي القارئ العالبيّ للخطاب القرآني. هذه التجربة التي عبّر عنها في عديد المحاضرات، وضمّنها كتابين من أهمّ كتبه: "الصّراع من أجل الإيمان"، و"حقّي الملائكة تسأل"، ومضمونها له أثره في تشكيل المقاربة التي يتبنّاها هذا المقال. وكان من بين أهمّ مصادره كتاب (ترجمة معاني القرآن الكريم لعبد الله يوسف علي)، ينظر: جفري لانغ: حقّي الملائكة تسأل، ص 50.

² انظر: هانز روبرت ياكوس: جماليّة التلقّي - من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبيّ، ص 24-26.

وفي ظلّ هذه العملية التّقدّية المتماسكة، فإنّ علاقة المتلقي بالأعمال الأدبية لن تكون مجرد علاقة مقتصرة على التأمل الخارجي، بل إنّ سيّكون هو المحدّد لاتّجاهها برمته، من خلال رصد طبيعة تفاعله مع النصّ، والكشف عن طبيعة تلقّيه له والأثر الذي أنتجه لديه. وهكذا فإنّ فعل القراءة سينتقل من مستوى الرّصد والتّأمّل إلى مستوى الفعل الديناميكيّ المنتج، أي إلى مستوى الفعل الواعي.

إذن فالقارئ سيُسهم حتماً في إنضاج العمل الأدبيّ، من خلال فعل القراءة الواعي، والتلقّي الإيجابيّ المنتج للمعنى. وهذا التّحوّل الجوهرّي في علاقة القارئ بالنّص أو العمل الأدبيّ هو ما يشكّل جوهر التّجربة الجمالية لدى مُنتج النّص ومتلقّيه على السّواء. وبوضع هذه التّوطئة في سياق حضور عملية التّرجمة في المشهد التّواصلّي الثّقافيّ العالميّ، ودورها المتنامي في عصر التّداول الرّقعيّ، وبالنّظر كذلك إلى التّحوّلات المعرفيّة المهمّة التي عرفتها، فإنّ تجديد المقاربات التي تُعنى بها، باعتبارها تسهم في تشكيل رؤية المتلقي العالميّ، صار حاجةً ملحّة؛ ذلك أنّ لغات العالم على تعدّدها لم تعد تقدّم أدوات التّواصل للمتحدّثين بها فحسب، بل صارت تقدّم لهم رؤيةً مختلفةً عن العالم، لا تخلو من التّأثير. وإزاء هذا فإنّ الباحثة تتبّى في هذا المقال منظوراً تجديديّاً لعملية التّرجمة، لا ينطلق من اعتبار هذه الأخيرة حقلاً معرفيّاً ضمن الدّراسات اللّسانية والثّقافيّة، الغرض منها نقل نصّ من لغته الأصل إلى لغة الهدف، بحيث يكون المعنى المكافئ هو أساس الممارسة التّرجميّة، ليس هذا فحسب⁽³⁾، ولا تتحقّق فاعليّتها انطلاقاً من كون الممارسة التّرجميّة داخلة ضمن مفهوم المثاقفة-acculturation بأيّ وجه⁽⁴⁾، بل ينطلق هذا المنظور التّجديديّ كذلك من كون الممارسة التّرجميّة تحويلاً ثقافياً مشروطاً بالانفتاح والفهم والتّواصل مع الآخر.

³ انظر في مفهوم التّكافؤ النّصيّ في عمليّة التّرجمة:

Basil HATIM and Jeremy MUNDAY: Translation an advanced resource book, P.27

⁴ مصطلح المثاقفة- acculturation بالمنظور الاستشراقي يتساوق مع منظور هيمنة النّظام العالميّ الجديد، أو ما يسمّى الإمبرياليّة الثّقافيّة، والتي تفرض على الثّقافات اختزال نفسها في بوتقة هذا النّظام، تمهيداً لتهيئتها ثم إلغائها واستيعابها من المشهد الثّقافيّ العالميّ. ومن المهمّ أن أشير ههنا إلى أنّ مفهوم "المثاقفة" بالمنظور الاستشراقيّ يعكس النّسق الدّائريّ للمنظومة المعرفيّة في العالم الغربيّ؛ فهي تتمحور حول مقولاتها في دائرة مغلقة، يبدو فيها العلمُ تغييراً للمنظور وليس تغييراً لطريقة النّظر. وعلى الرّغم من التّنوع الدّاخليّ للمعرفة الغربيّة، إلّا أنّها بقيت محافظةً على تمركزها حول ذاتها ومقولاتها، بوصفها مركزاً للعلم والمهّاج والمعيّار أيضاً، ومن هنا نشأت أطروحة "مركزيّة الوعي الغربيّ" ابتداءً، تمهيداً لهيمنتها لاحقاً.

ويكمن التجديد المقصود في عملية الترجمة في ذلك الالتحام الذي ينشأ بين جمالية التلقي وعملية الترجمة، تنبعث على إثره رؤية جديدة لمقاربة جمالية العمل المترجم، والتي تنأسس على جمالية الأثر المنتج، بحيث لا تنهض العلاقة بين الخطاب والمتلقي على التماسك القائم بُعدياً بين النص وقارئه، وإنما على علاقة حوارية وتواصلية بينهما، ينتج عنها تمرس المتلقي العالمي بالنص الأصلي في نسخته المترجمة.

وهنا يتوجب على المترجم نفسه أن يتحول عبر أطوار عملية الترجمة من مُنتجٍ إلى قارئ، أي إلى متلقي، فيؤسس بذلك لسيرورة تفعيل النص من لدنه وصولاً إلى القارئ وبناء على هذا النسق فإن عملية الترجمة ستنتقل من كونها تجربة جمالية خاصةً بالمترجم وحده، إلى تجربة جمالية لجمهور القراء كذلك، على اختلاف تمرسهم في فعل القراءة⁽⁵⁾.

وهذا هو جوهر خصوصية حركية المتلقي ضمن المسافة التي تفصله عن الخطاب الأصلي. هذه الخصوصية يصنعها أفق التجربة الجمالية الذي يتمرس به المترجم أولاً، ثم يعززها أفق التجربة الجمالية الذي يُنتجُه القارئ بناءً على إدراكه للنص الأصلي في نسخته المترجمة.

ويتصل هذان الأفقان معاً بالسيرورة النفسية لتلقي العمل المترجم، والتي تقوم بنقل النص من أفقه الأصلي إلى أفق نسقي محايث له عبر فعل القراءة الواعي، والذي يعيد تشكيل أفق التجربة الجمالية الذاتية للقارئ في كل مرة، ويؤسس لعملية الفهم وللأثر الذي تنتجه⁽⁶⁾.

إذن فالوصول إلى مستوى الوعي بالخطاب الأصلي في نسخته المترجمة يمرّ حتماً عبر الإدراك الجمالي الذاتي له من طرف المتلقي. ومن ثمّ يتحدّد نسق تشكّل جمالية التلقي للخطاب، من خلال تموضع المتلقي له بين أفق تجربته الجمالية وبين أفق التجربة الجمالية للمترجم، ووفق هذا النسق ستنتقل عملية الترجمة من كونها مجرد عملية إعادة إنتاج لمعنى نصّ ما بلغة الهدف إلى فعلٍ واعيٍّ ومتماسكٍ، ينقلُ العمل المترجم إلى مستويات ذوقية جديدة عبر كلّ فعلٍ تلقّيٍّ جديدٍ وتجربةٍ جماليةٍ متجدّدة.

⁵ انظر: حبيب مونسي: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى، ص 198.

⁶ انظر: أمنة روبة: الترجمة الناجحة بين توظيف المقابل والمكافئ، ص 5، 6.

كما أنّ عملية الترجمة الواعية هذه ستحول دون إفراغ النصّ الأصلي من طاقته الدلالية الملازمة له أصلاً، من خلال استنطاقه في حوارٍ بين ذاتٍ متلقية وخطابٍ⁽⁷⁾، تكتشف من خلاله هذه الذاتُ المتلقية الأجوبة المتضمنة في هذا الخطاب، من خلال ما يمكن تسميته بـ "الأسئلة الاستنطاقية"، والتي يتمحور دورها في رتق المسافة الدلالية التي تفصل بين النصّ الأصلي وبين قارئ النسخة المترجمة لمعاني هذا النصّ.

كما ستتيح هذه الأسئلة فرصة التفاعل بين الطاقة الدلالية للنصّ الأصلي وأفق التجربة الجمالية للقارئ. وبالتالي فلن يكون اتصال هذا المتلقي بالخطاب اتصالاً صورياً، بل سيكون اتصالاً منتجاً وحيوياً.

وهكذا فإن نسق تشكّل التجربة الجمالية في عملية الترجمة سيسمح برصد أثر هذه العملية وتحديد أهميتها، ليس من باب وظيفتها التصويرية أو الدوقية فحسب، ولكن من خلال الأثر الذي تنتجه كذلك، كما يرتقي هذا النسق بعملية الترجمة عبر جمالية التلقي إلى مستوى الممارسة الإبداعية التي تلغي القطيعة بين النصّ الأصلي والقارئ، ليشكّلا معاً وحدةً بنيويةً متماسكةً وفاعلةً، تحيل هذا القارئ إلى سياق التلقي الإيجابي والأثر المنتج⁽⁸⁾، أي إلى تمثّل دلالة الخطاب في سلوكه.

3. ترجمة معاني القرآن الكريم وفعل التمثّل: نحو التأسيس لرؤية ترجمية متجاوزة:

قدّم البيان السابق تحليلاً وظيفياً لما يُتوقّع أن يكون علاقةً ديناميكيةً فاعلةً بين عملية الترجمة والمتلقي، وفسح المجال لفهم وإدراك أبعاد التجربة الجمالية التي يمكن أن تتبلور من خلال سيرورة فعل الترجمة ثمّ سيرورة تلقي العمل المترجم، ومن ثمّ رصد أثره.

هذا الأثر الذي تصطبغ به التجربة الجمالية للمترجم والمتلقي على السواء، يشكّل رؤيةً متجاوزةً في سياق الحديث عن ترجمة معاني القرآن الكريم، تُبرز الدور الهامّ للمترجم وللمتلقي في تفعيل الخطاب القرآني. وبفضل هذه الرؤية فإنّ التجربة الجمالية لكلا الطرفين تصبغ بعملية الترجمة بصبغةً متجددةً، تُبرز متانة شبكة العلاقات ضمن ثلاثية (الخطاب والمترجم والمتلقي).

⁷ انظر نفسه، ص 10.

⁸ Basil HATIM and Jeremy MUNDAY: Translation, an advanced resource book, p 47- 51, and also Julianne HOUSE: Translation quality assessment- A model revisited, p 26

ومن هذا المنطلق فإنّ النّسق المعرفيّ لمقاربة التّجربة الجماليّة لترجمة معاني القرآن الكريم بدلالة (الأثر المنتج) يضع لبنه جوهريّةً لرؤية شموليّة لفعل التّرجمة، تتجاوز كونها رؤيةً ذوقيّةً أو جماليّةً، إلى كونها بناءً متماسكاً، يجيب عن إشكاليّة تمثّل المتلقّي العالميّ لمعاني الخطاب القرآنيّ، أي دور هذا الأخير في التأثير على سلوك المتلقّي أو تشكيله.

هذه الرؤية الشّموليّة الوظيفيّة لطبيعة العلاقة بين عمليّة التّرجمة وفعل التّلقي تمثّل -على نحوٍ جليّ- مدخلاً لتشكيل رؤية القارئ العالميّ تجاه القرآن الكريم، أي تفسيره له عبر سياقات تلقيّ معانيه المترجمة.

وهنا يمكن القول: إنّ التحام التّجربة الجماليّة للمترجم بالتّجربة الجماليّة للمتلقّي يمرّ قطعاً عبر إنطاق هذا الأخير لمعاني آيات القرآن الكريم، أي عبر تفعيل معناها الكامن في دلالة سلوكيّة. وهذا لا يتحقّق للمتلقّي إلّا إذا تمكّن من فهم واستيعاب السّياق الأصليّ لآيات كتاب الله تعالى في النّسخة المترجمة لمعانيها.

وبالتّالي فإنّ هذا الالتحام بين كلتا التّجربتين الجماليتين يَمنعُ من أن يكون القارئ العالميّ معزولاً عن السّياق الأصليّ لآيات كتاب الله المجيد، وسيتحقّق له إذ ذاك فعل القراءة الواعي، ومن ورائه الوظيفة التّواصلية للخطاب، كما سيتحقّق أثر هذا الفعل الواعي في واقع هذا القارئ.

كما أنّ هذا الالتحام بين التّجربة الجماليّة للمترجم والتّجربة الجماليّة للمتلقّي العالميّ، يمنع من أن يكون أحد طرفي عمليّة التّرجمة (المترجم، المتلقّي) أو كلاهما متعسّفاً أو متطعّلاً على إشعاع آيات كتاب الله تعالى وأثرها؛ لأنّ عمليّة التّرجمة بدلالة الأثر المنتج ستعيد إحياء المسافة الدّلالية بين القارئ العالميّ وبين القرآن الكريم، بفضل ما سعيّ أنفاً بالأسئلة الاستنطاقية.

وبقدر ما يستوعب كلّ من المترجم والمتلقّي العالميّ سياق آيات كتاب الله تعالى، بقدر ما يحوزان ناصية استنطاق معاني هذه الآيات في نسختها المترجمة. وهذا ملمحٌ آخر من ملامح الخصوصيّة في الرؤية الشّموليّة التي يتبنّاها هذا المقال. وعبر استيعاب ديناميكيّة العلاقة بين أفقيّ التّجربتين الجماليتين لكلّ من المترجم والمتلقّي العالميّ، يتمّ ولا شكّ استيعاب هذه المقاربة.

4. تحديات في مواجهة التأسيس لرؤية ترجمية متجاوزة:

إنّ العلاقة بين الشّكل والمضمون في النّصّ القرآنيّ علاقة عميقة ومتلازمة، بحيث لا يمكن الحديث عن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغة ما دون تحليل هذه العلاقة في مختلف تجلياتها. وإنّ سعي المترجمين إلى نقل معنى كلام الله تعالى إلى لغة أخرى غير اللغة العربيّة إنّما هو سعيّ محكوم بهذه العلاقة المتفردة، ولا يمكن بحالٍ إغفالها أو تجاوزها.

وفي هذا السياق يستعرض الباحث حسين عبد الرؤوف⁽⁹⁾ في كتاب له بعنوان: (Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis) الجدول الدائر بين المتخصصين في دراسات الترجمة حول مصطلح "الترجمة المكافئة".

والذي ظهر لي من خلال دراسة مجموعة من أبحاثه المنشورة أنّه كان متشككاً في مصداقية هذا المصطلح، ممّا يفسّر إعرابه عن قلقه إزاء مناقشة مختلف أشكال التحوّل من النّصّ المصدر (النّصّ الأصليّ) إلى ترجمة اللغة الهدف (النّصّ الهدف أو النّصّ المترجم)، من خلال عرضه لعددٍ من الأمثلة من القرآن الكريم وأسلوب ترجمتها، والتي توضّح حسبه استحالة تحقيق تكافؤ تامّ في الترجمة، وإنّ أقرب مصطلح يمكن إطلاقه على العمل في هذه الحالات هو مصطلح "المحاكاة" وليس "التكافؤ"⁽¹⁰⁾.

قال في سياق التعليق على جوهر الاختلاف بين نصوص آيات من القرآن الكريم وترجماتها إلى اللغة الإنكليزية:

«... These cases prove that translation is simulation (pretending to be what one isn't), and in interference the disguise shines through»⁽¹¹⁾.

وبالنسبة إليه:

«The call for "pragmatic adaptation" and "expanded translations" to make the target text fully understandable and achieve "pragmatic accuracy" supports our claim that a translated text is not the same as the original text. This is due to the fact that the referential apparatus of different languages and cultures is not the same»⁽¹²⁾.

⁹ الأستاذ السّابق في جامعة ليدز ببريطانيا، والأستاذ الحالي للغويات ودراسات الترجمة في جامعة طيبة بالملكة العربيّة السّعودية.

¹⁰ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 10, 11 and also p 12- 14.

¹¹ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 11.

¹² Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 14.

ومن خلال جملة من الخصائص والسمات الوظيفية للغات وكذا مستويات الخطاب التي تميزها عن بعضها، يفرّق في بين نوعين من الترجمة هما: الترجمة الحرفية/الدلالية (literal/semantic translation) والترجمة التواصلية (communicative translation). مشيراً إلى أنّ أيّ محاولة من المترجمين تستهدف تغيير ترتيب الكلمات من لغة المصدر إلى لغة الهدف، ستفقد المعنى المترجم تأثيره الأسلوبي، وتجعل البنية الخطابية للنصّ "تعاني" بسبب هذا التدخّل المتعصّف:

«... The interpersonal meaning expresses speech (functional meaning) or (interactional meaning), by drawing on the systems and networks of Mood to create sentences which carry the cognitive and logical content of propositions and display the speaker's relationship with others to whom the messages are being addressed. The textual meaning is the way in which a text is structured by varying types of linguistic resources to link the ideas being expressed and make them hang together.

It is at one or more of these macro-functions of language that the source text suffers most and distortion takes place because of the act of translation. Although the ideational meaning is approximately preserved, other meanings will suffer. This is quite evident in Qur'an translation...»⁽¹³⁾.

وفي هذا السياق يؤكّد أنّ أسلوب القرآن الكريم مشفوعٌ بالدلالة، ولا يُمكن بحالٍ التصرّف فيه دون فقدان التأثير المرتجى منه، وبإمكان الترجمة الحرفية أن تؤدّي حسبه إلى إغفال جوهر معناه الدلاليّ، وإرباك المتلقّي للترجمة باللّغة الهدف، وهذا الإرباك يجعله يُقدّم افتراضات اجتماعيّة وثقافيّة خاطئة حول المعنى الأصليّ للنصّ القرآنيّ:

«Literal translation of religious texts can confuse the target language reader and provide wrong socio-cultural presuppositions»⁽¹⁴⁾.

كما حدّد الباحث المستويات التي يتجلّى فيها عدم القابليّة للترجمة بوضوح، وعلى رأسها الشكّل وترتيب الكلمات في النصّ القرآنيّ، فهما حسبه مفتاح الرّسالة القرآنيّة، ويلحق بهما العناصر الثقافيّة والهياكل النّحويّة الخاصّة والترابط الدلاليّ والنّحويّ في بنية

¹³ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p14

¹⁴ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 28, and also p 18, 19.

الجملة القرآنية وأسلوب العرض القرآني، وكذا التعبيرات القرآنية الانفعالية وغير الانفعالية، فهذه كلها مستويات دلالية لا ينبغي التّضحية بها بحال:

«The position of individual words in a sentence, the rhythm and sound of its phrases and their syntactic construction, the manner in which a metaphor flows almost imperceptibly into a pragmatic statement, the use of acoustic stress not merely in the service of rhetoric but as a means of alluding to unspoken but clearly implied ideas: all this makes the Qur'an, in the last resort, unique and untranslatable - a fact that has been pointed out by many earlier translators and by all Arab scholars»⁽¹⁵⁾.

هذا ويسعى الباحث جاهداً من خلال أبحاثه المتخصصة في مجال الترجمة إلى إبراز سمات التماسك البنيوي للخطاب في القرآن الكريم، كاشفاً عن وجود نظام فريد للتماسك، من خلال ما أسماه "خصائص السبك"؛ حيث إنّ النصوص غير القرآنية في اللغة العربية حسبه تُظهر في الغالب عناصر تماسك لغويّ وبلاغيّ، لا يمكن فصلها عن بعضها البعض، ممّا يجعلها أساس النسيج القرآني والوسيلة الرئيسيّة لتحقيق الكمال والسّموّ في نظامه وأسلوب عرضه:

«The Qur'anic text is built up of cohesive linguistic and rhetorical elements that make it hang together. Non-Qur'anic texts in Arabic display mostly linguistic cohesive elements; the Qur'an, however, displays abundantly both linguistic as well as rhetorical cohesive elements which cannot be divorced from each other; in other words, they are the bedrock of Qur'anic texture and the major vehicle for the attainment of perfection and sublimity in style...»⁽¹⁶⁾.

ويستعرض في أبحاثه ذات الصلة خصائص العناصر البلاغية المكوّنة لتمييز السبك في القرآن الكريم وتفرّده، ومن ذلك صيغ المبالغة والصّور الذهنيّة والأسئلة البلاغيّة والأساليب المجازيّة، ومختلف العناصر اللّغويّة التركيبيّة، مثل العطف والحذف والتماسك

¹⁵ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 60

وانظر التفاصيل مع الأمثلة ص 40 - 61.

¹⁶ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p107, 108

المعجمي والإحالة والاستبدال، وغيرها من عناصر التماسك البنيوي، والتي تشكّل ترجمتها إلى اللغة الهدف تحدياً مُربكاً بالنسبة للمترجم والمتلقّي العالمي على السواء⁽¹⁷⁾.

ولا ينفكّ الباحث يذكر بإيمانه باستحالة ترجمة النصّ القرآنيّ، مؤكّداً على أنّ الإيقاعات والأصوات القرآنيّة الأسرّة التي تمسّ كينونة المتلقّي للنصّ القرآنيّ الأصليّ لا يمكن استحضارها في النصّ المترجم، فهذا الأخير عادةً ما يكون تقريبياً. ولذلك يفشل المترجم في ناحيتين: في ناحية إنصاف النصّ الأصليّ بتقليص معلوماتيّته وقصديّته وتأثيره، وفي ناحية إنصاف المتلقّي العالميّ، في حال لم تُبثّ رسالة النصّ الأصليّ كاملةً إليه:

«Translation is an act of interpretation and rephrasing during which skewing of infonnation is an inevitable by-product; the target text is alway an approximation; therefore, we fail to do justice to the source text by contracting its effect, intentionality and infonnativity. By doing so, we have not done justice to the target audience since the message of the source text has not been broadcasted in full to them...»⁽¹⁸⁾.

وإزاء هذه الإشكاليّة المعقّدة يذهب الباحث إلى التّنويه بأنّ ترجمة معاني القرآن الكريم تتطلّب تحليلاً تفسيريّاً شاملاً، بالرجوع إلى مدوّنة التّفسير، وإلاّ فستعرّض معانيه إلى التّحريف، وبالتالي فسيتمّ تمثّلها سلوكيّاً على نحوٍ خاطئٍ بدلالة اللغة الهدف:

«Translating the Qur'an, therefore, requires a thorough exegetical analysis and reference to exegetical works otherwise the meaning of the Qur'an will be distorted and drastically misrepresented in the target language...»⁽¹⁹⁾.

ولتجاوز هذا التّحدي المربك يقترح الباحث حسين عبد الرّؤوف ما اصطلح عليه بـ "الترجمة التّفسيريّة" التي تعدّ حسبها الخيار الأمثل والنّهج الممكن والسّليم لترجمة معاني القرآن الكريم وسبر أغوار هذا النصّ المُحصّن للغاية، من خلال حواشٍ وتعليقاتٍ تُلحق بالترجمة، على أن تُستفاد هذه التّعليقات من موادّ تفسيريّةٍ داخل النصّ القرآنيّ أو من المدوّنة التّفسيريّة للعلماء:

¹⁷ Hussein ABDUL-RAOF: The Linguistic Architecture of the Qur'an, p 37- 51, and Hussein ABDUL-RAOF: New Horizons in Qur'anic Linguistics, p 79 and beyond.

18- Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 183.

19- Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 30.

«...The only way to penetrate this highly fortified text is to explicate its intricate multi-layered meanings through either 'within-the-text' exegetical material...based on prominent exegetical works by Muslim scholars in order to make the target text accessible and intelligible to the target language reader. Only exegetical translation can eliminate misconceptions among target language readers.»⁽²⁰⁾

وفي هذا السياق يقدم قائمة بسبع عشرة سمة رئيسية للقرآن الكريم، تتطلب توضيحاً إضافياً، ويمكن أن تشكل مادة مرجعية مهمة للمترجم، تساعد على الحفاظ قدر الإمكان على أصالة التأثير الأسر الذي يمس كينونة المتلقي العالمي للنص المترجم، على نفس النحو الذي يحدث لدى المتلقي للنص القرآني الأصلي:

«Qur'an translators need to have a sound awareness of translation theories which is of paramount importance to their exegetical awareness. Before they embark on their delicate task, they need to define the nature of their end product, whether the translation is going to be a source text-oriented or target audience-oriented. In the case of the latter, the Qur'an translator needs to provide an informative rendering with the same ease and pleasure, the same interest and enjoyment that the original text has so that the target text can affect and 'touch the heart' of its target audience in the same way the original affects its source readers...»⁽²¹⁾

وفي خضم اشتغالي بدراسة جملة من أعمال الباحث حسين عبد الرؤوف المنشورة، فإنه لا بد لي أن أنوه أنها تكتسي قيمة علمية هامة بالنسبة للمقاربة التي أقترحها في مقالي هذا لعدة أسباب، أهمها أن أبحاثه تتبني نهجاً متعدد التخصصات، يجمع بين النتائج الرئيسية لمجالي الدراسات الإسلامية ودراسات الترجمة، مما يمكن اعتباره نهجاً رائداً في بابيه.

²⁰ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 40

وللباحث عدة أبحاث متخصصة في هذا الشأن (كتب ومقالات)، ينظر مثلاً:

- Hussein ABDUL-RAOF: Text Linguistics of Qur'anic Discourse- An Analysis.
- Hussein ABDUL-RAOF: Arabic Rhetoric: A Pragmatic Analysis.
- Hussein ABDUL-RAOF: New Horizons in Qur'anic Linguistics- A Syntactic, Semantic and Stylistic Analysis.

²¹ Hussein ABDUL-RAOF: Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, p 182.

فمثلاً نجد ضمن مصادر أبحاثه دراسات تأسيسية في نظرية الترجمة، على رأسها أعمال دونيز ماسون (1901-1994) ويوجين نايدا (1914-2011) وبيتر نيومارك (1916-2011) ومايكل هاليداي (1925-2018)، وروجر بيل (1938) وحاتم باسل (1947).

وبالنظر إلى تركيز أعمال الباحث حسين عبد الرؤوف على التنقيب عن أدلة التماسك البنيوي الداخلي للخطاب القرآني، فإنها تشكل في نظري نواة رؤية ترجمية متماسكة، وتقدم للمشتغلين في حقل ترجمة معاني القرآن الكريم تجربة بحثية ملهمة للحفاظ على مبدأ إعجاز القرآن الكريم في نسخته المترجمة للمتلقي العالمي.

من أجل هذا فإن أبحاثه حول نظرية الترجمة وتطبيقاتها تفتح -من وجهة نظري- آفاقاً جديدة وهامة في طريق التأسيس لرؤية ترجمية متجاوزة لمعاني القرآن الكريم. وفي هذا السياق يُعد إدراجُه الدقيقُ للسمات النحوية والدلالية والصوتية والبلاغية للنص القرآني عملاً أصيلاً وهاماً. علاوة على ذلك، فإن هدفه المتمثل في توفير دليل معجمي عملي لمترجمي معاني القرآن الكريم يعدّ إسهاماً قيماً، بالنظر إلى الصعوبة المحيطة بترجمة معاني النص القرآني⁽²²⁾.

5. مقارنة الرؤية الترجمية المنشودة لمعاني القرآن الكريم:

يتضمن فعل التلقي تحولاً في ذات المتلقي بدلالة التوافق بين لحظة التلقي للخطاب ولحظة الفهم لمعناه، وبدلالة هذا التوافق بين لحظتي التلقي والفهم، فإن فعل التلقي لا ينحصر في مجرد قراءة نص ما لفهمه ثم الكشف عن دلالاته، ولكنه يمتد ليشمل تشكيل منظومة سلوكية في ذات المتلقي، وهذا هو منتهى الغاية في التحمل لخطاب هذا النص.

²² ينظر في هذا السياق:

- حسن حمزة: ترجمات معاني القرآن الكريم بين الترجمة والتفسير: قراءة في خلفيات المصطلح، ص 283-298.
- توفيق عبده سعيد محمد الكنانى وبلقيس السويدي وصادق المنبري: تحديات ترجمة معاني القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النصي والترجمة الحديثة- سورة ياسين أنموذجاً، ص 79-112.
- علي سداد جعفر: إشكالية ترجمة معنى النفي في القرآن الكريم إلى اللغة العبرية عند أوري زويبي - سورة الكهف أنموذجاً، ص 520-541.

- Mohammed ABDUL HALEEM : The Role of Context in Interpreting and Translating the Qur'an, p 47- 66.
- Ina'm NAJIM JABER : Translating the Genre of Quran: the Challenge of translating the inimitable, p 943- 954.

إذن فتفعيل الخطاب بدلالة فعل التَّلَقِّي يمرُّ حتماً عبر فهم طبيعة العلاقة بين الخطاب وبين متلقيه، أي عبر فهم طبيعة فعل القراءة، باعتباره سيرورةً تقيم صلةً بين لحظة الاستقبال للخطاب ولحظة فهمه، ثمَّ تُحدِثُ بين هاتين اللَّحظتين توافقاً. وهذا التَّوافق هو ما ينقلُ المتلقي فيما بعدُ إلى مرحلة استنطاق النَّصِّ، بغية الكشف عن دلالاته ثمَّ تمثُّله في سلوكه، وهنا فقط يحوز فعل التَّلَقِّي صورته الشُّهوديَّة أو الحضورية في شخصيَّة المتلقي.

وبالعودة إلى ما تمَّ تحليله من دراسات الباحث حسين عبد الرزوف، فإنَّ الإبانة عن هذه الصُّورة الشُّهوديَّة في النُّسخة المترجمة لمعاني القرآن الكريم، يستدعي فهم المنظومة الكلِّية لبنائيَّة العلاقة بين الخطاب الإلهي في القرآن الكريم والمتلقي، من حيث بنائيَّة المعنى والقابليَّة للتَّلَقِّي، بغية فهم طبيعة فعل التَّلَقِّي في هذه المنظومة، بما يفسح المجال لمقاربة هذا الفعل في منظومة معاني القرآن الكريم المترجمة بلغة المتلقي العالمي.

1.4 بنائيَّة المعنى⁽²³⁾:

تشكِّل بنائيَّة العلاقة بين الخطاب الإلهي في القرآن الكريم والمتلقي وفق نسقٍ معرفيٍّ يستوعب الكينونة الإنسانيَّة في مستوييها الوجدانيِّ والسلوكيِّ، في ظلِّ قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عِبْدُونَ﴾ (البقرة: 138).

فقوله تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾ أي فطرة الله، يستهدف في كلِّيته بناء هذه العلاقة انطلاقاً من وعي المخاطب بدلالة (صبغة الفطريَّة)، وهذا بالاستناد إلى التَّلازم الحاصل بين إشعاع صفة العبدية الكامنة في الرؤية الكونية التَّوحيديَّة، وإشعاع صفة الامتثال الكامنة في سياقات الخطاب الإلهي.

وتستهدف هذه الصِّفة تشكيل وعي الإنسان باعتباره عبداً لله وحده وخلقاً من مخلوقاته؛ حيث يقف الخطاب القرآني في سياقاتٍ عديدةٍ بالفطرة الإنسانيَّة في مواجهة

²³ للتوسُّع ينظر: فاطمة الزَّهراء سعيداني وقاسم الشَّيخ الحاج: من جماليَّة التَّلَقِّي إلى بلاغات الخطاب- مقارنة بنية مفهوم التَّلَقِّي في السِّياق القرآني، ص 403-415، وفاطمة الزَّهراء سعيداني وقاسم الشَّيخ الحاج: التماسك البنيوي للخطاب الإلهي في سورة النَّازعات، ص 37-51.

فطرة الكون، بهدف استرجاع حقيقة التّوحيد والعبوديّة في الكينونة الإنسانيّة، والتي تماثل حقيقة التّوحيد والعبوديّة في الكون برمّته.

ومن خلال هذا المسار في تشكيل وعي إنسانيّ بالكون، معادلٍ في بنائيّته للوعي الكونيّ، فإنّ مظاهر الكون تغدو مناهجاً لفهم حقيقة التّوحيد الكامنة فيه وفي تفاصيل حركته، وتصير محلاً للعناية من أجل الاعتبار بدقائق الخلق. وإنّ الوعي بهذا المعنى في العلاقة بين الطّبيعة والإنسان، يمثل قمة الوعي بالعلاقة البنائيّة التي تربط الطرفين معاً، ثمّ بالعلاقة البنائيّة التي تربطهما معاً بالخالق سبحانه وتعالى.

إذن فهذه البنائيّة تستهدف أساساً تشكيل وعي الإنسان بمخلوقيّته، بهدف استرجاع حقيقة التّوحيد والعبوديّة في كينونته، والتي تماثل حقيقة التّوحيد والعبوديّة في الكون، فالإقرار الكونيّ بالإسلام لله يماثل الإقرار البشريّ بالإسلام له سبحانه.

وحين يضع الإنسان علاقته بالكون على خطّ الاعتبار، فإنّ القيم الضّابطة لمفهوم تلقّي خطاب الله تعالى، أي الوحي المسطور، تنتقل إلى مستوى تفاعليّ وإع، وبموجبها سيتموضع الوعي الإنسانيّ بالخطاب بدلالة إشعاع صفة العبدية في إطار ناظمٍ شموليّ يكافي في شموليّته عبوديّة الكون لله.

و«بقدر ما تتحقّق للإنسان علاقة البنائيّة الكونيّة به بوصفه مركزها، تتحقّق له معرفة علاقته بالله؛ فمفهوم علاقة الإنسان بالله تمرّ عبر علاقة الإنسان بالكون، والمفهوم المتولّد هنا هو نفسه الذي يسقط هناك، فكيفما عرفنا علاقتنا مع كوننا، عرفنا علاقتنا مع ربّنا، فتحقّقت عبوديّتنا له»⁽²⁴⁾، وهذا هو جوهر خصوصيّة بنائيّة المعنى في الخطاب القرآنيّ.

وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على أنّ الخطاب الإلهيّ في القرآن الكريم لا يقتصر على استيعاب الوجود برمّته في جانبيه المادّي والتّاريخيّ فحسب، بل يستوعبه كذلك عبر امتداده الغيبيّ، فيتحوّل إشعاع خطاب العبدية من دلالة قهرية ضاغطة إلى دلالة تفاعليّة متجاوزة، تمنع من أن يكون المتلقّي معزولاً عن سياقات الخطاب الإلهي ومعانيه، وإذ ذاك تتحقّق لفعل القراءة وظيفته التّواصلية، لتنتقل هذه التّواصلية بعد ذلك بالمخاطب إلى مرحلة استنطاق النصّ لفهمه ثمّ تمثّله.

²⁴ محمّد أبو القاسم حاج حمد: منهجيّة القرآن المعرفيّة، ص 189.

2.4 القابلية للتلقي:

تبين أن القرآن الكريم قد استهدف تشكيل العلاقة بين الخطاب الإلهي والمتلقي وفق منحنى شمولي متجاوز، وذلك بالنظر إلى التحوّل الجذري الذي يحصل في العلاقة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، والذي ينعكس أثره المباشر على النسق المعرفي لتواصلية الخطاب مع متلقيه، والتي يبدو في غاية التماسك في أبعادها الفكرية والوجدانية.

وفي ظلّ هذه التواصلية المتماسكة فكرياً ووجدانياً، يتحقّق فعل التلقي تماماً حين يحدث التوافق بين لحظة استقبال المتلقي لنصّ الخطاب القرآني ولحظة فهمه لمعناه. وبموجب هذا التوافق ينتقل أثر الخطاب إلى المتلقي، محدثاً في وجدانه اتّحاداً بين إشعاع هذا الخطاب (أي بنائية المعنى) وبين الحالة الذهنية للمتلقي، لينتقل هذا الأخير بعد ذلك إلى مستوى تفعيل الخطاب، أي تمثله. وهذا التوافق بين لحظة التلقي للخطاب القرآني ولحظة الفهم لمعناه هو نواة القابلية للتلقي.

وعلى هذا فالقابلية للتلقي تحيل على المنظومة التأثيرية للخطاب القرآني، أي الأثر الذي تُحدثه البنية التركيبية والدلالية للغة الخطاب في وجدان المتلقي، والذي يكون عادةً على شكل هزاتٍ نفسية، ترتدّ إلى أعماقه بسبب نبذة الخطاب. وهذه القابلية هي ما يشكّل حجر الزاوية في النسق الحركي للخطاب القرآني، أي انعكاس دلاليته على سلوك المتلقي، ومدى تفاعله مع الخطاب على المستوى السلوكي.

إذن فالقابلية للتلقي تُعنى من الناحية الأولى بتثبيت معنى الخطاب في ذات المتلقي، وتُعنى من الناحية الثانية ببعث أثر هذا الخطاب في وجدانه ووعيه، من خلال استهداف محلّ الباعث على الامتثال والتمثّل. ومعنى هذا أنّ القابلية للتلقي ههنا ترتقي بفعل التلقي من نسق المحايثة إلى الصّورة الشّهوديّة، ومن مستوى رصد جماليّة الخطاب إلى مستوى رصد بلاغاته وتمثّل رسالاته.

وتجد هذه القابلية جذورها في الكينونة الإنسانية بمقتضى دلالة الفطرية التي أحالت إليها بنائية المعنى آنفاً، فتظهر دقّة الخطاب القرآني في استثمار مدارات تمثّل مضمونه في الفطرة الإنسانية، وتتحقّق للخطاب جاذبيّته الروحيّة والسلوكيّة بالقدر نفسه الذي تتحقّق له جاذبيّته التركيبية والدلالية.

وعلى هذا فـ (القابلية للتلقّي) تستهدف تشكيل وعي متجاوزٍ لفعل التلقّي، من جهة التّحقّق ومن جهة التّخلّق، يرتقي بدلالة (التّمثّل) إلى المصافّ الإيمانيّة ثمّ الكونيّة المكافئة لرسالة الخطاب القرآنيّ، دون أن يتّخذ هذا التّمثّل دلالةً قسريّةً، وبذلك يكون السّياق القرآنيّ قد أجاب عن إشكاليّة تفعيل الخطاب في واقع المتلقّي.

3.4 أفق المقاربة:

تشكّل ثنائيتنا بنائيّة المعنى والقابليّة للتلقّي في الخطاب القرآنيّ توليفةً بنيويّةً فريدةً بين المعنى والمبنى والأثر، تحقّق لحمة الخطاب وكماله في ظلّ:

- وضوح التّصوّر من ناحية العمق الفكريّ للخطاب القرآنيّ، بما يضيف على مضمونه صفة الانفتاح، بسبب وجود ترابطٍ منطقيّ بين دلالاته، يُعزّز الدّافعيّة لتدبّر معانيه.
- الجاذبيّة والاستقطاب من ناحية الوظيفة التأثيريّة للرّافد اللّغويّ للخطاب القرآنيّ، باعتباره قوّةً محرّكةً، تكون بفضلها مبرّرات التّفاعل مع الدّلالة التي ينشئها الخطاب في النّفس والضمير أكثر وضوحاً وتأثيراً، وأقوى إلهاماً وإبداعاً.

ممّا يعني أنّ علاقة المتلقّي العالميّ بالخطاب القرآنيّ ههنا سـ «تتجاوزُ في حقيقتها علاقة الشّخص بما يتلقّى، إلى علاقة الشّخص بما به يصيرُ. فهو بالخطاب القرآنيّ ينتقل، إذ يتلقّاه نظاماً وأداءً، من كائنه الشّخصيّ إلى كائنه النّصيّ، ويقومُ به عقيدةً. وإنّه ليُصبحُ في انتقاله هذا بنيةً رمزيّةً وكيّونةً إشاريّةً...»⁽²⁵⁾.

وعليه فإنّ أفق تمثّل المتلقّي العالميّ لمعاني القرآن الكريم في نسخها المترجمة لا بدّ أن يمرّ أولاً عبر صبغ فعل التّرجمة بصبغة الوعي الفكريّ لدى المترجم، من خلال إنشاء حالةٍ من التّشبع ببلاغات الخطاب القرآنيّ ورسالته على نحو ما تمّ إيضاحه آنفاً من خلال أعمال الباحث حسين عبد الرّؤوف، تمهّد لفهم دلالاته، واستيعاب الأثر الذي ينتجُه.

ولا بدّ لأفق المقاربة أن يمرّ ثانياً عبر تشكيل الوعي الجماليّ للخطاب في وجدان المترجم، من خلال إنشاء حالةٍ من التّشبع بالقيم الجمالية للرّافد اللّغويّ القرآنيّ، بحيث تشكّل ما يمكن أن يُطلق عليه (السيرورة النّفسية أو الوجدانية لتلقّي الخطاب من قبل المترجم)

²⁵ جالك بيرك: إعادة قراءة القرآن، مقدّمة المترجم، ص 14.

5. خاتمة:

في ختام هذه الوقفات التحليلية لا بدّ من التنويه إلى ما يمكن أن يحقق مصداق المقاربة المطروحة ههنا، وهو أنّه بقدر وعي المترجم بالوشائج الداخلية للخطاب القرآني، أي وعيه بالرؤية الجمالية التي تشكّل في سياقها الخطاب في القرآن الكريم، فإنّه سيتمكّن من خلال ترجمة معاني هذا الخطاب من رتق المسافة بين المتلقي العالمي وبين الوحي الإلهي، ليس باعتباره حدثاً تاريخياً، ولكن باعتباره خطاباً يتضمّن معنىً هادئاً، وسيتيح للمتلقي بعد ذلك فرصةً ثمينةً لاستيعاب مقاصده ولتمثّل دلالاته.

وبدلالة فعل (التمثّل) سينتقل نسق ترجمة معاني القرآن الكريم من مستوى محايدة الجمالية البنيوية للنصّ القرآني إلى مستوى تفعيل هذه الجمالية، وترتقي بالتالي عملية الترجمة إلى مستوى الممارسة الإبداعية التي تلغي القطيعة بين التجربة الجمالية للمترجم والتجربة الجمالية للمتلقي، على نحو يجعل فعل التلقي فعلاً متجاوزاً، يجيب على إشكالية تمثّل المتلقي العالمي لدلالات الخطاب القرآني في نسخته المترجمة.

6. قائمة المراجع:

1. باللغة العربية:

- أمنة روبة: الترجمة الناجحة بين توظيف المقابل والمكافئ، Revue Algérienne Des Sciences Du Language، (جامعة الجزائر 2)، المجلد 2، العدد 2، 2017، ص 1-11.
- توفيق عبده سعيد محمد الكنانى وبلقيس السويدي وصادق المنبري: تحديات ترجمة معاني القرآن الكريم في ضوء علم اللغة النصي والترجمة الحديثة- سورة ياسين أنموذجاً، المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشريعة (المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب- القاهرة)، المجلد 4، العدد 10، 2020، ص 79-112.
- جاك بيرك: إعادة قراءة القرآن، ترجمة وتعليق: منذر عياشي، ط 1، حلب: مركز الإنماء الحضاري، 1996.
- جفري لانغ: حتى الملائكة تسأل- رحلة إلى الإسلام في أمريكا، تر: منذر العيسى، ط 5، بيروت/ دمشق: دار الفكر المعاصر ودار الفكر، 2013.
- حبيب مونسى: فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى- من المعيارية النقدية إلى الانفتاح القرآني المتعدد، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002.
- حسن حمزة: ترجمات معاني القرآن الكريم بين الترجمة والتفسير: قراءة في خلفيات المصطلح، المؤتمر الدولي الأول حول ترجمات معاني القرآن الكريم- طرابلس لبنان، برعاية دار الكتب العلمية، 2017، ص 283-298.
- علي سداد جعفر: إشكالية ترجمة معنى النفي في القرآن الكريم إلى اللغة العبرية عند أوري روبين سورة الكهف أنموذجاً، مجلة العلوم الإنسانية (جامعة بابل)، المجلد 22، العدد 1، مارس 2015، ص 520-541.
- فاطمة الزهراء سعيداني وقاسم الشيخ بالحاج: التماسك البنيوي للخطاب الإلهي في سورة النازعات، مجلة المدونة (جامعة البليدة 2)، المجلد 08، العدد 1، 2021، ص 35-54.
- فاطمة الزهراء سعيداني وقاسم الشيخ بالحاج: من جمالية التلقي إلى بلاغات الخطاب- مقارنة لبنية مفهوم التلقي في السياق القرآني، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية (جامعة الجزائر 1)، المجلد 14، العدد 1، 2022، ص 393-418.
- محمد أبو القاسم حاج حمد: منهجية القرآن المعرفية، ط 1، بيروت: دار الهادي، 2003.
- هانز روبرت ياكس: جمالية التلقي- من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تقديم وترجمة: رشيد بنحدو، ط 1، تونس العاصمة: دار كلمة للنشر والتوزيع بالتعاون مع منشورات الاختلاف بالجزائر، ودار الأمان بالمغرب، 2016.

2. باللغة الإنجليزية:

- Basil HATIM and Jeremy MUNDAY: Translation, an advanced resource book, Routledge Taylor and Francis Group, 1st edition: 2004, London
- Juliane HOUSE: Translation Quality Assessment- A model revisited, Gunter Narr Verlag, Tübingen, 1997.
- Hussein ABDUL-RAOF : Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis, routledge Taylor and Francis Group, London, 1st edition: 2001.
- Hussein ABDUL-RAOF : New Horizons in Qur'anic Linguistics, routledge Taylor and Francis Group, London, 1st edition : 2018.
- Hussein ABDUL-RAOF : The Linguistic Architecture of the Qur'an, Journal of Qur'anic Studies (Edinburgh University), Volume 2, Issue 2, October 2000, , p 37- 51
- Ina'm NAJIM JABER : Translating the Genre of Quran: the Challenge of translating the inimitable, Journal Of College Of Education For Women (University of Baghdad), Volume 21, Issue 4, 2010, p 943- 954.
- Mohammed ABDUL- HALEEM : The Role of Context in Interpreting and Translating the Qur'an, Journal of Qur'anic Studies (Edinburgh University), Volume 20, Issue 1, February 2018, p 47- 66.